

ثم قسمها على الحال وقد وقفت عليه وتأملت طرفيه فانك تعلم بعد ما بين حالتك وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك وتجببه اليك ونيله في نفسك وتوفيره لأنسك وتحكم لي بالصدق فيما قلت والحق فيما ادعيت ^(١) .

فالتمثيل ينبل ويوجد بمقدار تأثيره في النفوس ، ولهذا التأثير أسباب وعلل ، فأول ذلك وأظهره ان انس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأنيها بصريح بعد مكثي وان تردها في الشيء تعلمها اياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الاحساس واما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع لان العلم المستفاد من طرق الحواس والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا : « ليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كاليقين ، فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الانس ، أعني الانس من جهة الاستحكام والقوة » .

« وضرب آخر من الانس وهو ما يوجبه تقدم الالف كما قيل : « ما الحب الا للحبيب الاول » . ومعلوم أن العلم الاول أتى النفس أولاً من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والروية فهو اذن أمس بها رحماً وأقوى لديها ذمماً وأقدم لها صحبة وأكد عندها حرمة ... فأنت اذن مع الشاعر وغير الشاعر اذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ويقول : ها هوذا فأبصره تجده على ما وصفت

والمعاني التي يجيء التمثيل في عقبها على ضربين : الضرب الاول : غريب بديع يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة وجوده وذلك نحو قوله :

فان تَفَقُّ الانامَ وأنت منهم فان المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

(١) أسرار البلاغة ص ١٠١ وما بعدها .